مدن التبنّي

المسلخ... افتقده ابناؤه فأحبوه

كتب منذوب « الهدف » :

كانت السنوات التي قضاها ابناؤه على ارضه والتي تمتد بالنسبة لبعض منهم الى ١٠٠ سنة كفيلة بأن يلتحموا به تاريخيا . صدق الوفاء يجسده كادحوا المسلخ ـ الكرنتينا ، رغم ان المسلخ مثل حتى فترة قريبة وصمة عار في جبين السلطة الحاكمة التي لم تعمل لتحسينه ولمحو مآسي الفقر والجهل والاهمال التي مثلها . قبل ان يعود ليتسع من جديد وبلون ازهى من لون الوسام ذو النجمة السداسية التي حازت عليه القوى الفاشية كتقدير لها على العنجهية والبربرية التي مارستها تلك القوى بحق ابنائه ، وبحق تلك الاكواخ « الحقيرة » التي شكلت خلال عشرين عاما مضت مسلة اقضت مضاجع المرتدة.

صحيح ان « الاكوبولكو » و « السان سيمون » منتزهات البورجوازية اللبنانية اجمل مظهرا من المسلخ والكرنتينا ، وصحيح ايضا انه حتى قبل ١٩ كانون ثاني ١٩٧٦ لم يطأ هذين المكانين ـ ولا اماكن مشابهة لهما ـ قدم من اقدام ابناء المسلخ ولا حتى للعمل كعامل تنظيفات . لكن طبيعة الظروف هي التي ساهمت في تعزيز علاقة ابناء المسلخ به كأرض « وكوطن » ، على حد تعبير احدهم.

لم يكن احدنا بحاجة ـ فيما لو لم يرد ازعاج نفسه بذلك ـ بزيارة المسلخ ليعرف كيف يعيش ابناؤه ـ من اكراد وعرب كما انه اليوم ـ وللذين لا يريدون ازعاج انفسهم ـ لا يحتاج الى زيارة لكي يرسم في ذهنه صورة عن تلك المجازر الرهيبة التي ارتكبت بحق ابنائه واكواخهم .

وانت تقابل تلك الوجوه في السان سيمون تشدك عينا امرأة جاوزت الخمسين من العمر . تتجه اليها ، وقبل ان تلقي تحيتك عليها تحييك هي وتقول: « اسمي لا يهم ان تعرفه لكن سجل : قطنت المسلخ ستة عشر عاما ، تركته بملء ارادتي قبل اربع اشهر من حوادث ١٣ نيسان ثم عدت عند سماعي اخبار المجزرة ـ البوسطة في عين الرمانة . لم اطق العيش في مدينة صور رغم حبي لها . احببت المسلخ حبي لفلسطين ، قاومت وافراد اسرتي ـ معظمهم من البنان ـ كل الظروف القاسية التي فرضها علينا اتباع المخرب شربل قسيس . حوصرنا في حي الخفر مدة شهر لم نكن نستطيع المغادرة حتى لاحضار الطعام فالقناص (او الصياد البشري على حد قولها) يرصد كل تحركاتك . ضربنا بكل انواع الاسلحة ومن كل الاتجاهات كان ذلك يوم ١٨ ـ ١ ـ ٧٦ لكن الابطال ، سلمت سواعدهم ، صدوا الهجوم ودحروا الانعزاليين المهاجمين . لكن موعدنا مع اليوم المشؤوم كان في ١٩ ـ ١ ـ ٧٦ : ضرب باسلحة وقصف مدفعي كاد يصم اذني وانا طوال الوقت صامدة ، رغم محاصرتهم لنا وتضييق الخناق علينا لكني لم اياس ـ اخيرا سقط المسلخ ـ قالتها بمرارة ودمعة في العين ، تذكرت سقوط بلدتي « شعب في قضاء عكا » واين ذاك من هذا لكن لا ، لا فكلاهما اخ مخلص للاخر : الصهاينة و الانعزاليين . بصدق هل كنت تظن انني اود القول بان الصهاينة ارحم منهم ، بالطبع لم تكن تراودني تلك الفكرة المحسومة لدي تاريخيا « وتابعت محدثتي : » في الاشرفية ـ لا بد انك سمعت وقرأت ـ اذلال الى حد معاداة السامية ، هتك اعراض ، ضرب مؤلم ، شتم بذيء تصفية ، مع شرب انخاب . وفي محاولة منها لتذكر ما حصل اجهشت بالبكاء ..

● هل لك ابناء شباب ؟

ابتسمت : « ليس لدي اولاد كبار ، لكنني فخورة بانني ارضعت اربعة ابطال استشهدوا جميعا » . ترى الا تستحق بالفعل هذه المرأة لقب ام الابطال ؟. وفي احدى « الشاليهات » التقينا رجلا يزيد عمره عن الثمانين عاما ، ولما عرفناه بانفسنا قال : « سجل يا ولدي انهم يدعون حماية لبنان ويريدون تحريره ـ لكان لبنان منهم براء وهو بحاجة لتحريره منهم . سرقوا لي بعد ان سيطروا على المسلخ « تحويشة العمر » . كنت قد جمعتها لاداوي يميني بها ـ ولما توسلت اليهم ، اعطوني فقط عشرين ليرة ... : ركلوني وضربوني باعقاب بنادقهم في الاشرفية ... انهم ايضا لصوص ، عبثا حاولت اقناعهم باعطائي الجزء اليسير من المبلغ صرخ بي احدهم .. اخرس يا ... اذهب لقادة المقاومة والعروبيين او اذهب الى اليمن حيث هناك بلادكم يا ... » .

وببراءة الاطفال يجيبك طفل لم يتجاوز الخمس سنوات من عمره يحمل لعبة خشبية بشكل رشاش ، انا بدي احرر بلدي . اين بلدك ؟ .. بلدي المسلخ وبيتي الاخر سابنيه عندما اكبر في بكفيا .

عبثا تحاول انتزاع ـ لعبته ـ لانه يقنعك بالقول لو كان اخي الاكبر مسلحا لما قتل . من قتله ؟ . « الجيش » . ارأيته انت ؟ « نعم قوصوه امامي وانا اختبأت في حضن والدتي » ، ويصرخ بوجه ابنة جيرانه ليطلب منها ان تسمعنا وصفا لما اقترفته الايدي الاثمة قالت : .. « اظنكم تعلمون ـ انا احدى ضحايا السبي ـ لكن لا شيء يهم . كنت عاملة وسابقى لكن لن اضيع وقتي سنرى بعد الانتهاء من العمل . فالكل عليه ان يثأر لذاته ولاهله ـ ارفض ان اقتل انعزالي بغدر بل سأواجه المئات منهم ـ ان سقطت فهنا قدري وانا سعيدة بذلك .

قد تحتاج لايام لتسجيل ما يدور في خاطر الجميع لكن وجودك بينهم مفيد جدا لك ولهم . ويعطونك الكثير وبالملموس عن الممارسات الفاشية بحق كل الشعوب الفقيرة ولا ينسون الاشارة الى الاضطهاد الذي كان قائما من قبل السلطة « بعزها ».

● وفي مقابلة مع احد الذين ساهموا وبفعالية في المحاولات المستميتة للدفاع عن المسلخ وجماهيره بين لنا كيف انه هو وغيره من الرفاق في السلاح من ابناء تلك المنطقة كانوا قلما يملكون ثمنا للرغيف ، ولا يتوقع ان يمتلكوا احدث انواع الاسلحة . لذا كان الكثيرون في وضع لا يسمح لهم امام ثقل المهاجمين عددا وعدة الا ان يواجهوا الرصاص والقنائف بصدورهم . « لقد قاتلنا في اليوم الاول قتالا مريرا اوقعنا خلاله بصفوف الانعزاليين اكثر من ـ مائتي اصابة . ولم يكن الدرع الذي يلمسون به صدورهم يقف حائلا بطريق رصاصاتنا . لكن الوضع العام للمسلخ تضعضع في اليوم الثاني من القتال ، ثم ان هناك بعض عملاء للانعزاليين لعبوا دورا عسكريا مساعدا لهم من الداخل وقد شاهدتهم بام عيني يطلقون قنائفهم على المدنيين ، كما ان الامداد لم يصلنا كما يجب ، اضافة الى اننا توقعنا مهاجمة مؤخرة الانعزاليين وهذا لم يحصل . كل ذلك لعب دورا كبيرا في اسقاط المسلخ ورغم ذلك قاتلنا حتى بعد سقوطه ـ وقد اعترفت اذاعتهم بذلك ـ لكن قتالنا بعد سقوطه اصبح ميؤوسا منه ... »

الانطباع الوحيد الذي تخرج منه وانت تغادر اماكن اقامة المهجرين الجدد هو انهم مصممون على العودة الى المسلخ يدركون ان ظروف عودتهم هذه الايام مستحيلة حتى لو استخدمت الوسيلة العسكرية ـ نظرا لالتزامهم بوقف اطلاق النار ـ ولا يراهنون على الحكومة الرجعية بايجاد حل لاعادتهم الى المسلخ ـ لكنهم اخذوا ينظمون انفسهم ـ لان هذا بنظرهم هو الكفيل على المدى التاريخي المرئي باعادة بناء مساكن شعبية لهم على نفس الارض التي هجروا منها .

وتجدر الاشارة ان الاحزاب الوطنية قد شكلت بالتعاون مع الثورة الفلسطينية لجنة الدعم والصمود تولت عملية اسكان المهجرين ـ ومنهم ابناء الدامور ـ في تجمعات ـ كان من نصيب ابناء المسلخ « السان سيمون والاكوبولكو » . وتقدم هذه اللجنة بالاضافة الى الماوى الملبس والطعام للكبار والحليب للاطفال . وقد تفرغ عن لجنة الصمود مكتب اعلامي يتولى شرح قضيتهم على كافة الاصعدة ، اضافة لذلك افتتح مستوصف في كل تجمع للمهاجرين من اجل تأمين العلاج اللازم ، والجدير بالذكر ان المستوصف يلعب دورا جيدا فيما يتعلق برفع المستوى الصحي لهم نظريا وعمليا كما ان المركز الاعلامي يشرف على توجيههم من خلال اذاعة محلية ـ وندوات سياسية تقام خصيصا لهم اضافة الى تزويدهم ببعض الصحف والكراسات الصادرة عن الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية .

ترى الى اين ينظر ابن المسلخ اليوم ؟

الكل مقتنع بان الحل النهائي لقضيتهم يكون بالحل الوطني الديمقراطي من خلال النضال والنضال المكثف حتى يصل العنف الثوري الى تحقيق اهدافه في اقامة المجتمع الديمقراطي الحر والاشتراكي الموحد . ■

كهل من المسلخ ... ثمة من ينتقم .

ام الابطال ... سيبعث ابنائي الشهداء

«المسلخ»... هكذا كان ؟

تاريخه : بني المسلخ قبل حوالي مائة عام .

سكانه : جاوزوا في الفترة الاخيرة بضع عشرات من الالاف منهم اللبنانيون ، وقسم لا باس به من سكان الجنوب ـ اصلا والباقي من الاكراد والسوريين والفلسطينيين لا يتجاوز عددهم المئات . تحيط به شرسبوك والدورة وبرج حمود والنهر وشل وماو مخايل والبدوي . ارضه تابعة لرهبانيات شربل قسيس مساحته حوالي ١٢٠٫٠٠٠ م٢ او اكثر بقليل .

مساكنه : معظمها من التنك القديم ، قلما تجد بيتا لا تنفذ منه المياه في الشتاء ، تتكدس البيوت بعضها الى جانب بعض ـ كعلب السردين ـ . هؤلاء « الغرباء » في اوطانهم لم يحالفهم الحظ بالسكن الانساني.

صحيا : المسلخ مركز لتجمع المجاري العامة ـ حيث سد معظمها بالاوساخ قبل الاحداث : المراحيض عامة ، وفضلات مصنع كيماوي والدباغات التابعة ليوسف الرسيد « الكتائبي » تساعد في تلويث اجواء المنطقة وانتشار الاوبئة والامراض .

كان هناك مستشفى الكرنتينا الذي نقلته السلطة الرجعية بعد ان حسنت اوضاعه الى الاشرفية .

تربويا : تفشت فيه الامية رغم وجود بعض المدارس الخاصة التابعة لبعثات ومؤسسات تربوية ودينية . كان هناك مدرسة لابناء فلسطين . عدد المتعلمين اذا ما قيس بعدد السكان قليل جدا ، والوضع المادي هو العائق في وجه كل طلاب العلم .

العمال : يعمل معظمهم كصيادين وحمالين في المرفأ وباتي خفر . هناك ٤٠٠ عامل منهم يعملون في (مسلخ الذبح المركزي) ، ويعمل حوالي ٢٠٠ شاب بالتنظيفات في بلدية بيروت ، الفتيات يعملن كخياطات في المنطقة الحرة في المرفأ والمتابع باجرة لا تتعدى الخمس ليرات يوميا .

اذاقت السلطة سكانه شتى انواع التعذيب ، نتيجة رفضهم المحاولات العديدة والمتكررة من تلك القوة الرجعية بتهديم اماكن سكنهم ، ومن كان لا يتذكر حوادث الحريق المتعمد التي كان يفتعلها رجالات السلطة ، فليعد الى تسلسل الاحداث خلال الاعوام الخمس الماضية .

شارك ابناؤه في كل تحرك نضالي وطني وديمقراطي شهدته الساحة اللبنانية .